عَامِرُ بنُ فُهَيْرَةَ

رضي الله عنهُ

عَامِرُ بنُ فُهَيْرَةَ

وُلِدَ عَامِرُ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ وَالثَّلاَثِينَ قَبْلَ الهِجْـرَةِ، فَهُوَ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعَةَ عَشَرَ عَاماً. فَلَمَّا بُعِثَ الرَّسُولُ الكَرِيمُ كَـانَ عَامِـرُ فِي مُقْتَبَلِ العُمْـرِ حَيْثُ كَانَتْ سِنُّهُ ثَلاَثَةً وَعِشْرِينَ عَاماً.

كَـانَ عَامِـرٌ غُلاَمَـاً لِلطُّفَيْـلِ بنِ الحَـارِثِ أَخِي أُمِّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لِأُمِّهَا أُمِّ رُومَانَ.

عَاشَ عَامِرٌ فِي ذٰلِكَ المُجْتَمَعِ الجَاهِلِيِّ، فَـطَحَنَهُ طَحْنَـاً، فَالرِقُّ المَضْـرُوبُ عَلَيْهِ قَدْ أَمَاتَ فِي نَفْسِهِ كُلَّ شَيْءٍ، وَمَوْضُوعُ الطَّبَقَاتِ قَدْ ذَوَّبَ كُلَّ أَمَلٍ لَهُ، وَأَيُّ آمَالٍ لِمِثْلِ هَـذَا الشَّابِ فَهُوَ فِي أَدْنَى الطَّبَقَاتِ بَلْ لاَ يُصَنَّفُ فِي دَرَجَاتِ سُلَّمِهَا، وَإِنَّمَا يَعِيشُ هَمَلاً خَارِجَ عَدَادِ كُلِّ تَصْنِيفٍ، يَحَيَا لِخِدْمَـةِ الآخَرِينَ، وَيَكِدُّ فِي سَبِيلِهِمْ، وَيَفْنَى لِيَنْعَمَ الآخَرُونَ بِمَا يُقَدِّمُ.

إِنَّهُ يَعِيشُ دُونَ أَمَلٍ، وَيَحْيَا مِنْ غَيْـرِ تَفْكِـيرٍ، يَتَحَـرَّكُ كَمَا

يُؤمَرُ، وَيَنْطَلِقُ كَمَا يُوَجَّهُ. يَرى الغَنِيَّ يَأْكُلُ الفَقِيرَ وَيُسَاعِدُهُ النَّاسُ عَلَى جَرِيمَتِهِ بَلْ وَيُثْنُونَ عَلَى فِعْلَتِهِ. وَيَهْضِمُ القَوِيُّ حَقَّ الضَّعِيفِ، وَيُحَسِّنُ المُجْتَمَعُ لَـهُ عَمَلَهُ. وَيَتَصَـرَّفُ السَّـادَةُ بِمَوَالِيهِمْ وَخَدَمِهِمْ كَمَا يَتَصَرَّفُ المَرْءُ فِي حَاجَـةٍ مِنْ حَاجَـاتِهِ، وَهَذَا هُوَ النِّظَامُ السَّائِدُ وَالمُتَعَارَفُ عَلَيْهِ وَالمَعْمُولُ بِهِ. وَيَسْتَقِرُّ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ لَا رَجاءَ يُؤَمَّلُ عَلَيْهِ، وَلَا أَمَلَ فِي الإِصْلَاحِ ، وَيَرى أَنْ تَمُوتَ نَفْسُهُ أَفْضَلَ مِنَ العَذَابِ الَّذِي يُعَانِيهِ مِـنَ التَّفْكِيرِ. وَيَنْقَطِعُ التَّفْكِيرُ، وَيَسْكُتُ الحَدِيثُ مَعَ النَّفْسِ ، وَتُخَيِّمُ ظُلْمَـةُ عَلَى دُنْيَاهُ فَلَا يَرَى فِي عَيْنَيْهِ المُبْصِرَتَيْنِ سِوَى أَوْهَـامٍ وأشباحٍ تَتَحَرَّكُ فِي الظَّلَامِ .

وَيَدُورُ هَمسٌ فِي أَنْدِيَةِ قُـرَيْشٍ وَبَيْنَ رِجَـالَاتِهَا عَنْ رَجُـلٍ يُدْعَى مُحَمَّداً، وَعَنِ الإِسْلَامِ فَيُحَاوِلُ أَلَّا يُلْقِيَ بَالاً فَهُوَ قَـابِعٌ فِي ظُلْمَةِ نَفْسِهِ وَفِي زَاوِيَةٍ بَعِيدَةٍ عَنْ أَحْدَاثِ المُجْتَمَعِ طَـالَمَا قَدْ وُجِدَ هَكَذَا وَلَا عَلَاقَةَ لَهُ بِمَا يَتَحَدَّثُ بِهِ السَّادَةُ وَبِمَا يُفَكِّرُ بِهِ طَوَاغِيتُ الوَادِي وَكُلُّ مَا عَلَيْهِ أَنْ يُؤَدِّيَ طَلَبَاتِ سَيِّـدِهِ. غَيْرَ أَنَّ الهَمْسَ يَرْتَفِعُ وَيَعْلُو حَتَّى يَنْقَلِبَ إِلَى صَخَبٍ وَيَدْخُلَ الحَدِيثُ إِلَى كُلِّ دَارٍ، وَيَدُورُ الحَدِيثُ عَلَى الأَلْسُنِ كُلِّهَا، وَيَنْدَفِعُ بِآذَانِهِ نَحْوَ السَّمَاعِ حُبّاً فِي الاسْتِطْلَاعِ ، فَيَقْرَعُ سَمْعَهُ كَلِمَاتٌ غَرِيبَةٌ

عَنِ المُجْتَمَعِ ، لَمْ يَتَعَوَّدْ سَمَاعَهَا وَلَمْ يَتَوَقَّعِ انْتِشَارَهَا، إِنَّهَا الدَّعْوَةُ إِلَى دِينٍ جَدِيدٍ اسْمُهُ الإِسْلاَمُ.

يَصِلُ إِلَى سَمْعِهِ أَنَّ الإِسْلاَمَ يُرِيدُ أَنْ يَقْضِيَ عَلَى النِّظَامِ الجَاهِلِيِّ القَائِمِ ، وَيَجْتَثَّهُ مِنْ جُذُورِهِ أَيْنَمَا وُجِدَ وَفِي أَيَّةِ رُقْعَةٍ مِنَ العَالَمِ. وَلَكِنْ مَاذَا تَعْنِي كَلِمَةُ «العَالَمِ» عِنْدَ هَذَا الشَّابِّ المَسْحُوقِ فِي هَذَا المُحِيطِ الضَّيِّقِ وَالَّذِي لاَ يَعْرِفُ سِوَاهُ.

وَيَدْفَعُهُ فُضُولُهُ بَلْ يَدْفَعُهُ الأَمَلُ الَّذِي يَتَوَلَّدُ مِنْ جَدِيدٍ، وَالحُلْمُ الَّذِي يَنْبَعِثُ فِي النَّفْسِ فَجْأَةً وَلاَ يَدْرِي مِنْ أَيْنَ؟ كُلُّ هَذَا يَجْعَلُهُ فِي شَوْقٍ إِلَى السَّمَاعِ وَتَقَصِّي الأَخْبَارِ وَيَسْمَعُ أَنَّ هَذَا الدِّينَ الجَدِيدَ يَعُدُّ النَّاسَ مُتَسَاوِينَ، فَهُمْ سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنَانِ المِشْطِ، لاَ فَرْقَ بَيْنَ غَنِيٍّ وَفَقِيرٍ، وَلاَ قَوِيٍّ وَضَعِيفٍ، وَلاَ بَيْنَ صَاحِبِ أُسْرَةٍ وَأَبْتَرَ، وَلاَ تَمَايُزَ فِي الأَنْسَابِ، وَالقَبَائِلِ ، وَالأَجْنَاسِ ، وَالعُرُوقِ، وَالأَلْوَانِ، وَاللُّغَاتِ، فَالنَّاسُ كُلُّهُمْ لِآدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، وَلَكِنَّ التَّمَايُزَ إِنَّمَا هُوَ فِي صَالِحِ الأَعْمَالِ. وَالفَقِيرُ الَّذِي يَخْدُمُ الغَنِيَّ أَوْ يَعْمَلُ عِنْدَهُ، وَالمَوْلَى الَّذِي أَجْبَرَتْهُ أَوْضَاعُهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ سَيِّدٍ، فَمَا لِلْغَنِيِّ وَلاَ لِلسَّيِّدِ مِنْ سَبِيلٍ عَلَى مَنْ يَعْمَلُ عِنْدَهُ، وَلَيْسَ لَهُ مِنْ فَضْلٍ ، وَإِنَّمَا الفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ فَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي نَمَّى مَالَ الأَوَّلِ

وَأَعْطَاهُ فَصَارَ غَنِيّاً، وَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي أَعَطَى الثَّانِيَ مِنْ نِعَمِهِ وَهَيَّأَ لَهُ مَا جَعَلَهُ سَيِّدَاً.

وَقَعَتْ هَذِهِ التَّعَالِيمُ فِي أُذُنِ عَـامِرٍ، فَـوَعَاهَـا فِكْرُهُ مُبَـاشَرَةً، وَأَدْرَكَهَا قَلْبُهُ، وَتَقَبَّلَتْهَا نَفْسُهُ، وَآمَنَ بِهَا فَهِيَ الَّتِي طَالَما شَغَلَتْ تَفْكِيرَهُ، وَتَوَلَّدَ الأَمَلُ عِنْدَهُ مِنْ جَدِيدٍ، وَعَاوَدَتْهُ أَحْلاَمُ الشَّبَابِ، وَانْـطَلَقَ فَـجْأَةً نَحْـوَ صَـاحِبِ الـدَّعْـوَةِ، مُحَمَّـدِ بنِ عَبْـدِاللَّهِ، وَاسْتَمَعَ مِنْهُ، وَآمَنَ بِاللَّهِ، وَشَهِدَ لِمُحَمَّدٍ بِالرِّسَالَةِ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَارَ الأَرْقَمِ بنِ أَبِي الأَرْقَمِ وَقَبْلَ أَنْ يَدْعُوَ فِيهَا.

اطْمَأَنَّتْ نَفسُ عَامِرٍ، وَأَيْقَنَ أَنَّ النُورَ سَيَنْبَلِجُ قَرِيباً وأَنَّ الصُّبْحَ مُشْرِقٌ لاَ مَحالَةَ، وَأَنَّ الظَّلاَمَ زَائِلٌ لاَ بُدَّ، وَسَيُقْضَى عَلَى الجَاهِلِيَّةِ وَطَوَاغِيتِهَا وَسَتَتَحَـطَّمُ أَصْنَامُهَـا، وَسَيُعْبَدُ اللَّهُ لاَ يُشْـرَكُ بِهِ شَيْءٌ، وَسَيَشْعُـرُ النَّاسُ بِقِيمَـةِ الحَيَـاةِ، وَسَيَحِسُّـونَ بِالإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي هُمْ جُزْءٌ مِنْهَا، وَسَيُدْرِكُ هُوَ هَذَا ـ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَعِيشَ وَيُدْرِكَهَا، فَتَفَتَّحَتْ بَرَاعِمُ الأَمَلِ وَأَشْرَقَ عَلَيْهَا النُورُ.

وَانْتَشَرَ خَبَرُ إِسْلاَمِ عَامِرٍ وَشَاعَ بَيْنَ الكُفَّارِ، فَأَخَذُوا يَتَفَنَّنُونَ فِي عَذَابِهِ، وَسَيِّدُهُ الطُّفَيْلُ بنُ الحَارِثِ لاَ يُبَالِي بِمَا يَلْحَقُ مَوْلاَهُ مِنَ الأَذَى، وَرُبَّمَا كَانَ فِي طَلِيعَةِ أُولَئِكَ الَّـذِينَ يَتَوَلَّـوْنَ عَذَابَـهُ

لِيَفْتِنُوهُ عَنْ دِينِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يُعْطِهِمْ شَيْئاً مِمَّا أَرَادُوا، إِذْ تَحَمَّلَ العَذَابَ بِصَبْرٍ، وَصَبَرَ عَلَى الشِّدَّةِ بقُوَّةٍ، فَكَانَ يُحِسُّ أَنَّ الأَذَى البَدَنِيَ أَسْهَلَ بِكَثِيرٍ مِنَ العَذَابِ النَّفْسِيِّ الَّـذِي كَانَ يُعَـانِيهِ مِنْ قَبْلُ، كَمَا كَانَ يَشْعُرُ فِي كُلِّ حِينٍ أَنَّ اللَّهَ مَعَهُ يُثَبِّتُهُ وَيُرْشِدُهُ.

وَشَعَرَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ بِمَسْؤُولِيَّتِـهِ تِجَاهَ أَخِيـهِ فِي الإِسْلَامِ فَاشْتَرَى عَامِراً مِنْ سَيِّدِهِ الطُّفَيْلِ بنِ الحَارِثِ، ثُمَّ أَعْتَقَهُ، وَكَانَ لِهَذَا الفِعْلِ أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي نَفْسِ عَامِرٍ حَيْثُ شَعَرَ بِنَسَائِمِ الحُرِّيَّةِ تَدْخُلُ إِلَى بَيْتِهِ الجَدِيدِ إِذْ غَدَا حُرّاً لَا وِصَايَةَ لِسَيِّدٍ عَلَيْهِ، مُسَاوِياً لِبَقِيَّـةِ رِجَالَاتِ البَلَدِ الَّـذِي يَعِيشُ فِيْهِ وَأَبْنَـاءِ المُجْتَمَعِ الَّـذِي يُحِيطُ بِهِ، هَذَا مِنْ جِهَةٍ وَمِنْ جِهَةٍ ثَـانِيَةٍ شَعَـرَ بِصِدْقِ تَعَـالِيمِ الإِسْلَامِ ، فَقَدِ اشْتَرَاهُ أَبُو بَكْرٍ بِمَالِهِ لَا لِيَكُونَ عَبْداً لَهُ وَإِنَّمَا لِيُصْبِحَ أَخاً لَهُ، وَلَمْ يَعُدَّ ذَلِكَ مِنَّةً وَإِنَّمَا وَاجِباً.

وَاسْتَمَرَّ العَذَابُ البَدَنِيُّ رَغْمَ حُرِّيَّةِ عَامِرٍ وَلَكِنَّهُ عَذَابٌ يَهُونُ أَمَامَ العَذَابِ النَّفْسِيِّ الَّذِي كَانَ فِيْهِ، وَهَاجَـرَ بَعْضُ المُسْلِمِينَ إِلَى الحَبَشَةِ هَرَباً بِدِينِهِمْ، وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ عَـادَ بَعْضُهُمْ، وَكَانَتِ الدَّعْوَةُ تَتَقَدَّمُ بِاسْتِمْرَارٍ وَتَدْخُلُهَا عَنَاصِرُ جَدِيـدَةٌ فِيْهَا مِنَ القُـوَّةِ وَهَـذَا مَا جَعَـلَ أَمْرَهَـا يَشْتَـدُّ. ثُمَّ كَـانَتْ بَيْعَتـا العَقَبَـةِ وَأَخَـذَ المُسْلِمُونَ يُهَاجِرُونَ إِلَى المَدِينَةِ فَرْداً إِثْرَ فَرْدٍ وَجَمَاعَةً إِثْرَ جَمَاعَةٍ

حَتَّى لَـمْ يَبْقَ فِي مَكَّـةَ سِـوَى رَسُـولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، وَأَبِي بَكْرٍ، وَعَلِيٍّ ابنِ أَبِي طَالِبٍ، وَصُهَيْبٍ، وَعَامِرِ بنِ فُهَيْـرَةَ وَقَلِيلٍ مِنَ الـمُسْلِمِينَ وَبَـعْضِ المُسْتَضْعَفِينَ الَّـذِينَ لاَ يَجِدُونَ سَبِيلاً أَوْ مَنْ حَبَسَهُمْ قَوْمُهُمْ.

وَأُذِنَ لِـرَسُـولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، بِـالهِجْـرَةِ، فَهَاجَرَ، وَصَحِبَ مَعَهُ أَبَا بَكْرٍ، وَأَعْطَى عَلِيّاً مُهِمَّةَ بَقَائِهِ مَكَانَهُ فِي الفِرَاشِ لِلتَّعْمِيَةِ عَلَى قُرَيْشٍ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ وَلأَدَاءِ الأَمَانَـاتِ بَعْدَهَا، أَمَّا عَامِرٌ فَقَدْ كَانَتْ لَهُ مُهِمَّةٌ خَاصَّةٌ وَيُعِدُّهُ أَبُو بَكْرٍ لَهَا.

لَقَدْ كَانَتْ مُهِمَّـةُ عَامِـرٍ خَطِيـرَةً، إِذْ خَرَجَ الـرَّكْبُ المُهَاجِرُ: رَسُـولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، وَصَـاحِبُـهُ أَبُـو بَكْـرٍ، وَاسْتَيْقَظَتْ قُرَيْشٌ فَإِذَا بِالمُهَاجِرَيْنِ قَدْ خَرَجَا، وَرِجَـالُهَا وَاقِفِينَ عَلَى بَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَنْتَظِرُونَهُ لِلْفَتْكِ بِهِ، فَأَسْرَعَتْ تَقْتَفِي الأَثَرَ. وَكَانَ المُهَاجِرَيْنِ قَدْ وَصَلاَ إِلَى غَارِ ثَوْرٍ بِأَسْفَلَ مَكَّةَ فَدَخَلاَهُ، وَأَقَامَا فِيْهِ ثَلاَثاً، وَجَعَلَتْ قُرَيْشٌ مِائَةَ نَاقَةٍ لِمَنْ يَرُدُّ مُحَمَّداً إِلَيْهَـا. وَكَانَ عَبْـدُاللَّهِ بنُ أَبِي بَكْرٍ يَقْضِي نَهَارَهُ فِي قُرَيْشٍ يَسْمَعُ أَخْبَارَهَا، وَمَا تَأْتَمِرُ بِهِ وَمَا تَقُولُ فِي حَقِّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَصَاحِبِهِ ثُمَّ يَـأْتِيهِمَا إِذَا أَمْسَى فَيُخْبِرُهُمَا الخَبَرَ، وَيَبِيتُ مَعَهُمَا فَـإِذَا انْبَلَجَ الفَجْرُ خَـرَجَ

إِلَى مَكَّةَ وَكَأَنَّهُ قَـدْ بَاتَ فِيْهَا مَعَ أَهْلِهَا، وَأَمَّا عَامِرٌ فَكَانَ يَرْعَى غَنَمَ أَبِي بَكْرٍ مَعَ رُعْيَانِ أَهْلِ مَكَّةَ فَإِذَا أَمْسَى سَـارَ بِغَنَمِهِ نَحْـو الغَـارِ وَيَبِيتُ مَعَهَا هُنَـاكَ، يُقَدِّمُ اللَّبَنَ وَاللَّحْمَ لِمَنْ فِيْـهِ، وَفِي الصَّباحِ يَتْبَعُ بِأَغْنَامِهِ أَثَرَ عَبْدِاللَّهِ بنِ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى يُعَفِّيَ عَلَيْهِ، وَبقِيَ عَلَى ذَلِكَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ.

إِنَّهَـا مُهَمَّةٌ خَـطِرَةٌ حَيْثُ يَتَّصِلُ بِـطَرِيـدَيْنِ فَـارَّيْنِ مِنْ وَجْـهِ طَوَاغِيتِ قُرَيْشٍ، يُقَدِّمُ لَهُمَا سُبُلَ الحَيَاةِ بِـالطَّعَـامِ وَالشَّرَابِ، قُرَيْشٌ تَجْعَلُ مِائَةَ نَاقَةٍ لِمَنْ يُعِيدُ إِلَيْهَا مُحَمَّداً وَعَامِرٌ يَعْرِفُ مَكَانَهُ وَيَتَّصِلُ بِهِ وَيَمُدُّهُ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ هُوَ وَصَاحِبُهُ وَلاَ يُرْشِدُهَا عَلَيْهِ، إِنَّ هَذِهِ لَجَرِيمَةٌ كُبْرَى فِي نَـظَرِ قُرَيْشٍ يُعَـاقَبُ عَلَيْهَا صَـاحِبُهَا بِأَقْسَى العُقُوبَاتِ غَيْرَ أَنَّ عَـامِراً لاَ يُهِمُّـهُ مَا تَفْعَـلُ قُرَيْشٌ، وَلاَ يُبَالِي بِتَصَرُّفَاتِهَا، فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَمُقِرٌّ لِمُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالرِّسَالَةِ.

وَبَعْدَ الأَيَّامِ الثَّلاثَةِ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَعَ أَبِي بَكْرٍ مِنَ الغَارِ، وَكَانَتْ قَدْ جَاءَتْهُمَا الرَّوَاحِلُ مَعَ الدَّلِيلِ عَبْدِاللَّهِ بنِ أُرَيْقِطٍ فَسَارَا مَـعَ الدَّلِيـلِ، وَسَارَ مَعَهُمْ عَـامِرُ بـنُ فُهَيْرَةَ، وَوَصَلَ الرَّكْبُ إِلَى المَدِينَةِ، وَنَزَلَ عَامِرُ بنُ فُـهَيْرَةَ عَلَى سَعْدِ بنِ خَيْثَمَةَ. وَآخَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَ

عَامِرِ بنِ فُهَيْرَةَ وَالحَارِثِ بنِ أَوْسٍ بنِ مُعَـاذٍ.

عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَـا، قَالَتْ: لَمَّـا قَدِمْنَـا المَدِينَـةَ اشْتَكَى أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْهُمْ أَبُـو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ، وَعَامِرُ بنُ فُهَيْرَةَ، وَكَانَ عَامِرُ بنُ فُهَيْرَةَ إِذَا أَصَابَتْهُ الحُمَّى يَقُولُ:

إِنِّـي وَجَـدْتُ الـمَـوْتَ قَبْـلَ ذَوْقِـهِ
إِنَّ الـجَبَـانَ حَـتْـفُـهُ مِـنْ فَـوْقِـهِ
كُـلُّ امْـرِئٍ مُـجَـاهِـدٌ بِـطَوْقِـهِ
كَـالـثَّـوْرِ يَـحْـمِي جِـلْدَهُ بِـرَوْقِـهِ

وَشَهِـدَ عَامِـرُبَنُ فُهَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْـهُ، بَدْراً وَأُحُـداً مَـعَ رَسُـولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، وَأَبْلَى فِيهِمَـا البَـلَاءَ الحَسَنَ.

عَاشَ عَامِرٌ فِي المَـدِينَةِ سَعِيدَاً فِي المُجْتَمَـعِ الَّذِي كَـانَ يَحْلَمْ بِـهِ، مُجْتَمَـعِ المُسَـاوَاةِ، مُجْتَمَـعِ الحُـرِّيَّـةِ، مُجْتَمَـعِ الإِخَاءِ، مُجْتَمَعِ العَدَالَةِ. المُجْتَمَعِ الَّذِي لَيْسَ فِيـهِ مُتَغَطْرِسٌ جَبَّارٌ، وَلَا مُتَسَلِّطٌ كَذَّابٌ، لَيْسَ فِيهِ مَنْ يَتَفَاخَرُ بَعَصَبِيَّتِهِ، وَلَا مَنْ يَتَعَـالَى بِمَالِـهِ، لَيْسَ فِيْهِ رَجُـلٌ مُهْمَلٌ، وَلَا فَقِيـرٌ مَعْـدَمٌ. إِنَّـهُ مُجْتَمَـعٌ مُتَعَاوِنٌ يُـحِبُّ بَعْـضُهُ بَعْضَـاً كَمَـا يُحِبُّ كُـلٌّ لِنَفْسِـهِ

وَأُسْرَتِهِ، فَهُوَ كِتْلَةٌ مُتَرَاصَّةٌ، يَسُودُ فِيْهِ العَدْلُ وَيَعُمُّ الوِئَامُ.

وَفِي سَاعَاتِ الرُّجُوعِ إِلَى النَّفْسِ يَتَذَكَّرُ الأَيَّامَ الخَوَالِي وَمَا كَانَ يَعِيشُ فِيْهِ مِنْ بُؤْسٍ، وَضِيقٍ نَفْسِيٍّ، يَرَى غَطْرَسَةَ أَبِي جَهْلٍ وَوَقَاحَةَ أُبَيٍّ بنِ خَلَفٍ، وَلُؤْمَ عُقْبَةَ بنِ أَبِي مُعَيْطٍ، وَنَظْرَةَ المُجْتَمَعِ الجَاهِلِيِّ إِلَيْهِ فَتَنْقَبِضُ نَفْسُهُ وَيَشْعُرُ بِمَرَارَةِ المَاضِي، وَيَرْجِعُ فَيَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى مَا هُوَ فِيْهِ مِنْ أَمْنٍ فِي مُجْتَمَعِهِ، وَأُخُوَّةٍ فِي مُحِيطِهِ، وَنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ، وَيَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ، وَخَلَّصَهُ مِنْ تِلْكَ البِيئَةِ الفَاسِدَةِ.

وَيَعُودُ إِلَى اللِّقَاءِ بِالإِخْوَةِ فَيَقْطَعُ ذَلِكَ تَفْكِيرَهُ وَيُنْسِيهِ ذَلِكَ المَاضِي البَئِيسَ، وَيَشْعُرُ بِالسَّعَادَةِ وَيَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُدِيمَ ذَلِكَ عَلَى المُسْلِمِينَ، وَأَنْ يُنْهِيَ وَضْعَ الظَّالِمِينَ فِي الأَرْضِ، المُشْرِكِينَ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى، وَالمُتَأَلِّهِينَ عَلَى النَّاسِ.

وَإِذَا كَانَتْ غَزْوَةٌ أَوْ سَرِيَّةٌ انْضَمَّ إِلَى أَفْرَادِهَا عَسَى أَنْ يَحْصَلَ عَلَى الشَّهَادَةِ، وَيَظْفَرَ بِالجَنَّةِ.

الشَّهَادَةُ

طَمِعَ الأَعْرَابُ فِي المُسْلِمِينَ بَعْدَ أَنْ أَصَابَهُمْ مَا أَصَابَهُمْ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ، حَتَّى القَبَائِلِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي لَمْ تَسْتَطِعِ الدِّفَاعَ عَنْ نَفْسِهَا رَغِبَتْ فِي أَخْذِ أَسْرَى مِنَ المُسْلِمِينَ بِالحِيلَةِ

وَالمَكْـرِ، لِتَبِيعَهُمْ إِلَى قُرَيْشٍ فِي مَكَّـة فَتَنَالَ عِنْـدَهَـا الحُـظْوَة وَتَحْصَلَ عَلَى المَالِ مُقَابِلَ بَيْعِ أُولَئِكَ الأَسْرَى، وَاجْتَهَدَ الأَعْرَابُ فِي حِيَلِهِمْ وَمَكْرِهِمْ.

لَقَـدْ غُـدِرَ بِسِتَّـةٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُـولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي يَوْمِ الرَّجِيعِ فِي نِهَايَةِ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ. وَأَعْقَبَتْهُ حَادِثَةُ بِئْرِ مَعُونَةَ فِي شَهْرِ صَفَرَ مِنَ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى رَسُـولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِـالمَدِينَـةِ أَبُو بَـرَاءٍ عَامِرُ بنُ مَالِكِ بنِ جَعْفَرٍ مُلَاعِبُ الأَسِنَّةِ، فَعَرَضَ رَسُـولُ اللَّهِ، عَلَيْهِ الإِسْلَامَ وَدَعَـاهُ إِلَيْهِ، فَلَمْ يُسْلِمْ وَلَمْ يَبْعُـدْ مِنَ الإِسْلَامِ، وَقَـالَ: يَا مُحَمَّـدُ، لَوْ بَعَثْتَ رِجَـالاً مِنْ أَصْحَـابِـكَ إِلَى أَهْـلِ نَـجْدٍ، فَدَعَوْهُمْ إِلَى أَمْرِكَ، رَجَـوْتُ أَنْ يَسْتَجِيبُوا لَـكَ، فَقَالَ رَسُـولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي أَخْشَى عَلَيْهِمْ أَهْـلَ نَجْدٍ، قَالَ أَبُو بَرَاءٍ: أَنَا لَهُمْ جَارٌ، فَابْعَثْهُمْ فَلْيَدْعُوا النَّاسَ إِلَى أَمْرِكَ.

فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المُنْذِرَ بنَ عَمْرٍو فِي أَرْبَعِينَ رَجُـلاً مِنْ خِيَارِ المُسْلِمِينَ فِيهِمْ عَـامِـرُ بنُ فُهَيْـرَةَ، وَحَرَامُ بـنُ مِـلْحَانَ، فَسَارُوا حَتَّى نَزَلُوا بِبِئْرِ مَعُونَةَ، وَهِـيَ بَيْنَ أَرْضِ بَنِي عَامِرٍ وَحَـرَّةِ بَنِي سُلَيْمٍ، وَهِيَ إِلَى حَرَّةِ بَنِي سُلَيْمٍ أَقْرَبُ.

فَلَمَّا نَزَلُوهَا بَعَثُوا حَرَامَ بنَ مِلْحَانَ بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى عَدُوِّ اللَّهِ عَامِرِ بنِ الطُّفَيْلِ، فَلَمَّا أَتَاهُ لَمْ يَنْظُرْ فِي كِتَابِهِ حَتَّى عَدَا عَلَى الرَّجُلِ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ اسْتَصْرَخَ عَلَيْهِمْ بَنِي عَامِرٍ، فَأَبَوْا أَنْ يُجِيبُوهُ إِلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ، وَقَالُوا: لَنْ نُخْفِرَ أَبَا بَرَاء، وَقَدْ عَقَدَ لَهُمْ عَقْدَاً وَجِوَاراً، فَاسْتَصْرَخَ عَلَيْهِمْ قَبَائِلَ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ، فَخَرَجُوا حَتَّى غَشُوا القَوْمَ، فَأَحَاطُوا بِهِمْ فِي رِحَالِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ أَخَذُوا سُيُوفَهُمْ، ثُمَّ قَاتَلُوهُمْ حَتَّى قُتِلُوا عَنْ آخِرِهِمْ، إِلَّا كَعْبَ بنَ زَيْدٍ فَإِنَّهُمْ تَرَكُوهُ وَبِهِ رَمَقٌ فَارْتُثَّ مِنْ بَيْنِ القَتْلَى، فَعَاشَ حَتَّى اسْتُشْهِدَ يَوْمَ الخَنْدَقِ.

وَكَانَ يَرْعَى لِهَؤُلَاءِ المُسْلِمِينَ عَمْرُو بنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، وَالمُنْذِرُ بنُ مُحَمَّدٍ، فَلَمْ يُنَبِّئْهُمَا بِمُصَابِ أَصْحَابِهِمَا إِلَّا الطَّيْرُ تَحُومُ عَلَى العَسْكَرِ، فَقَالَا: وَاللَّهِ إِنَّ لِهَذِهِ الطَّيْرِ لَشَأْنَاً، فَأَقْبَلَا لِيَنْظُرَا، فَإِذَا القَوْمُ فِي دِمَائِهِمْ، وَإِذَا الخَيْلُ الَّتِي أَصَابَتْهُمْ وَاقِفَةٌ، فَقَالَ المُنْذِرُ لِعَمْرٍو: مَا تَرَى؟ قَالَ: أَرَى أَنْ نَلْحَقَ بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنُخْبِرُهُ الخَبَرَ، فَقَالَ المُنْذِرُ: لَكِنِّي مَا كُنْتُ لِأَرْغَبَ بِنَفْسِي عَنْ مَوْطِنٍ قُتِلَ فِيهِ المُنْذِرُ بنُ عَمْرٍو، وَمَا كُنْتُ لِتُخْبِرَنِي عَنْهُ الرِّجَالُ، ثُمَّ قَاتَلَ القَوْمَ حَتَّى قُتِلَ، وَأَخَذُوا

عَمْرو بنَ أُمَيَّةَ أَسِيراً، فَلَمَّا أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ مِنْ مُضَرٍ، أَطْلَقَهُ عَامِرُ بنُ الطُّفَيْلِ، وَجَزَّ نَاصِيَتَهُ، وَأَعْتَقَهُ(١).

كَانَ عُرْوَةُ بنُ الزُّبَيْرِ يَقُولُ: إِنَّ عَامِرَ بنَ الطُّفَيْلِ يَقُولُ: مَنْ رَجُلٌ مِنْهُمْ لَمَّا قُتِلَ رَأَيْتُهُ رُفِعَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، حَتَّى رَأَيْتُ السَّمَاءَ مِنْ دُونِهِ؟ قَالُوا: عَامِرُ بنُ فُهَيْرَةَ(١).

وَيُرْوَى أَنَّ عَامِرَ بنَ الطُّفَيْلِ قَدِمَ المَدِينَةَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَقَالَ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: مَنْ رَجُلٌ يَا مُحَمَّدُ لَمَّا طَعَنْتُهُ رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ؟ فَقَالَ: هُوَ عَامِرُ بنُ فُهَيْرَةَ(٢).

وَلَمْ يُوجَدْ جَسَدُ عَامِرِ بنِ فُهَيْرَةَ، وَيَرَوْنَ أَنَّ المَلاَئِكَةَ هِيَ دَفَنَتْهُ(٣).

وَيُرْوَى أَنَّ جَبَّارَ بنَ سُلْمَى الكَلْبِيَّ طَعَنَ عَامِرَ بنَ فُهَيْرَةَ يَوْمَئِذٍ فَأَنْفَذَهُ، فَقَالَ عَامِرٌ: فُزْتُ وَاللَّهِ! قَالَ: وَذُهِبَ بِعَامِرٍ عُلُوّاً فِي السَّمَاءِ حَتَّى مَا أَرَاهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَإِنَّ المَلاَئِكَةَ وَارَتْ جُثَّتَهُ وَأُنْزِلَ عِلِّيِّينَ. وَسَأَلَ جَبَّارُ بنُ سُلْمَى: مَا قَوْلُهُ فُزْتُ وَاللَّهِ، قَالُوا: الجَنَّةَ. قَالَ: فَأَسْلَمَ جَبَّارُ

---

(١) سيرة ابن هشام.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) طبقات ابن سعد.

لِمَا رَأَى مِنْ أَمْرِ عَامِرِ بنِ فُهَيْرَةَ فَحَسُنَ إِسْلاَمُهُ[1].

وَيُرْوَى أَنَّ جَبَّاراً كَانَ يَقُولُ: إِنَّ مِمَّا دَعَانِي إِلَى الإِسْلاَمِ أَنِّي طَعَنْتُ رَجُلاً مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ بَالرُّمْحِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، فَنَظَرْتُ إِلَى سِنَانِ الرُّمْحِ حِينَ خَرَجَ مِنْ صَدْرِهِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فُزْتُ وَاللَّهِ! فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: مَا فَازَ! أَلَسْتُ قَدْ قَتَلْتُ الرَّجُلَ! حَتَّى سَأَلْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ قَوْلِهِ، فَقَالُوا: لِلشَّهَادَةِ؛ فَقُلْتُ: فَازَ لَعَمْرُ اللَّهِ[2].

وَكَانَ عُمْرُهُ يَوْمَ اسْتُشْهِدَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَرْبَعِينَ سَنَةً.

---

(١) طبقات ابن سعد.

(٢) سيرة ابن هشام.